31/10/2025

خطبة اشتغالُ المرءِ بما يعنيه

الحمدُ للهِ الذي خلقَ الإنسانَ وعلَّمهُ البيانَ، وأكرمَهُ بالعقلِ والإيمانِ، وأنزلَ عليهِ القرآنَ هدىً ورحمةً ونورًا وبيانًا، نحمدُه سبحانهُ على ما أنعمَ، ونستغفرُه ونتوبُ إليهِ مما أذنبنا، وأشهدُ أن لا إلهَ إلّا اللهُ وحده لا شريكَ له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسولُه، صلواتُ اللهِ وسلامُه عليهِ وعلى آلهِ وأصحابِه الطيبينَ الطاهرينَ، ومن تبعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدينِ.

أما بعد، أيها المؤمنون: أوصيكم ونفسي بتقوى اللهِ عز وجل، فهي زادُ المؤمنِ في دربِ الحياةِ، وسراجُهُ في ظلماتِ الفتنِ، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) [الأحزاب:70-71].

أيها الأحباب: حديثُنا اليوم عن خلقٍ جليلٍ يدلُّ على كمالِ العقلِ ورجحانِ الرأيِ، وهو عنوان خطبتنا اليوم: اشتغالُ المرءِ بما يعنيه، وتركُهُ ما لا يعنيه.

قال سيدُ الخلقِ صلى الله عليه وسلم في الحديثِ الصحيحِ الذي رواه الترمذيُّ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لا يَعْنِيهِ» وهو حديثٌ عظيمٌ جمعَ آدابَ الدينِ والدنيا، فهو ميزانُ العقلِ وحُسنِ الإيمانِ.

أيها الكرام: إن من دلائلِ كمالِ العقلِ أن يوجّهَ المرءُ عقلَهُ فيما ينفعُهُ، وأن يجعلَ كلامَهُ وطاقتَهُ فيما يُثمِرُ خيرًا في دينه ودنياهُ، لا فيما يُثيرُ الجدلَ أو يزرعُ الفتنةَ أو يُضلُّ الناسَ.

والمسلمُ العاقلُ لا يتدخّلُ في كلِّ شاردةٍ وواردةٍ، بل يعرفُ موضعَهُ، ويقفُ عند حدودِ علمِه، ويلتزمُ الأدبَ فيما لا يُحسنُه.لكننا اليومَ –أيها الأحباب– نعيشُ زمنًا عجيبًا، أصبحَ فيه من لا علمَ لهُ بالدينِ يتصدرُ لتفسيرِ القرآنِ وتأويلِ الأحاديثِ، والحديثِ عن شرعِ اللهِ وكأنهُ من العلماءِ الراسخين! تراهم يتكلمونَ في العقيدةِ وأحكامِ الشريعةِ والفقهِ والميراثِ والحدودِ، وهم لم يتذوقوا حرفًا من علومِ الشريعةِ، ولم يجلسوا عند عالمٍ معتبرٍ، ولم يعرفوا قواعدَ التفسيرِ ولا أصولَ الفقهِ، بل يعتمدونَ على عقولٍ مشوشةٍ ومنهجٍ دخيلٍ، يرفعونَ شعارَ "حريةِ الفكرِ" وهم في الحقيقةِ يطعنونَ في الدينِ بلباسِ الفهمِ الحديث.

هؤلاء الذين يسمّون أنفسهم "علمانيين" أو "تنويريين"، تراهم –وللأسف– يخوضونَ في أقدسِ ميادينِ العلمِ، في تفسيرِ كتابِ اللهِ، وتحليلِ آياتِه، وتأويلِ ما لم يفهموه، فينشرونَ الشكَّ بدلَ اليقين، والهوى بدلَ الهدى، ويقولونَ على اللهِ ما لا يعلمونَ، وقد قال تعالى في التحذيرِ من هذا: (وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَـٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) [الإسراء:36]، وقال سبحانهُ: (قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [الأعراف:33].

فتأمّلوا كيفَ جعلَ اللهُ القولَ عليه بغيرِ علمٍ في مرتبةٍ واحدةٍ مع الشركِ والفواحشِ! لأنَّ من أفتى بغير علمٍ ضلَّ وأضلَّ، ومن تكلَّم في القرآنِ برأيِه أفسدَ المعنى وزيّنَ الباطلَ، فأيُّ جرأةٍ أعظمُ من أن يتصدَّى الجاهلُ لتفسيرِ كلامِ اللهِ دون علمٍ ولا خشيةٍ؟!

والعجبُ العجابُ –أيها المؤمنون– أن هؤلاءِ المتجرّئينَ على الدينِ لا تجدُ أحدًا منهم يتكلمُ في الطبِّ أو القضاءِ أو الهندسةِ، لأنهم يعلمونَ أنَّ من فعلَ ذلكَ عُدَّ جاهلاً مستهتراً! فلا يجرؤُ غيرُ الطبيبِ أن يُشخّصَ الأمراضَ، ولا يجرؤُ غيرُ القاضي أن يصدرَ الأحكامَ، ولا يجرؤُ غيرُ المهندسِ أن يصمم الجسورَ، ولكن في دينِ اللهِ –ويا للأسف– يتكلَّمونَ بجرأةٍ بلا علمٍ ولا أدبٍ ولا ورعٍ!

فصارَ الدينُ وحدهُ ميداناً مباحاً لكلِّ سفيهٍ، ولكلِّ مَن أرادَ الشهرةَ أو الجدالَ، يُتقنونَ الجدلَ ولا يعرفونَ الفقهَ، يُضيّعونَ المقاصدَ ويزرعونَ الشبهاتِ، حتى أفسدوا عقولَ بعضِ الناسِ وخلطوا عليهم دينَهم. وفيهم ينطبقُ قولُ اللهِ تعالى: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) [الحج:8].

أيها الكرام: إنَّ احترامَ التخصّصِ ليس مبدأً دنيويًا فحسب، بل هو أصلٌ قرآنيٌّ عظيمٌ في تدبيرِ الكونِ. تأملوا خلقَ اللهِ تعالى كيفَ بنى نظامَهُ على الاختصاصِ والانضباطِ والمَهامِ الموزَّعةِ: فجبريلُ عليهِ السلامُ وُكِّلَ بالوحيِ، وميكائيلُ بالمطرِ والنباتِ، وإسرافيلُ بالنفخِ في الصورِ، وملكُ الموتِ بقبضِ الأرواحِ، والكرامُ الكاتبونَ بتدوينِ الأعمالِ، وكلٌّ منهم لا يتعدّى حدودَ وظيفتِه، قال تعالى: (وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) [الصافات:164]. فلو شاءَ اللهُ لجعلَ ملكاً واحداً يَقْبِضُ الأرواحَ ويُنزِلُ المطرَ ويكتبُ الأعمالَ ويوصلُ الوحيَ، ولكنهُ جلَّ في علاهُ جعلَ لكلِّ عملاً مخصوصًا ليعلّمَ الخلقَ أدبَ التخصّصِ، وليعلَمَ الناسُ أنَّ تجاوزَ الحدِّ سببٌ في الفوضى والضلالِ. أيها الأحباب: إذا التزمَ الإنسانُ مكانَهُ في العلمِ والعملِ نجا، وإذا تجرّأَ على ما ليسَ لهُ تركَ ما يعنيهِ من الخيرِ واشتغلَ بما لا ينفعُه. قال عليٌّ رضي الله عنه: «قيمةُ كلِّ امرئٍ ما يُحسنُ»، وقال وهبُ بنُ منبّهٍ: «إذا أحبَّ اللهُ عبدًا فتحَ له بابَ العملِ وأغلقَ عنه بابَ الجدلِ»، فالعاقلُ من اشتغلَ ببناءِ نفسِه قبلَ محاجّةِ غيرِه.

أيها المؤمنون: إنَّ من كمالِ العقلِ أن يشتغلَ العبدُ بما يقوّي دينَهُ، من عبادةٍ وعلمٍ وذكرٍ، وأن يُعرضَ عن فضولِ الكلامِ فيما لا يخصّهُ، قال تعالى في وصفِ عبادهِ المؤمنين: (قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ) [المؤمنون:1-3].

فالإعراضُ عن اللغوِ، والتنزّهُ عن الكلامِ الفارغِ، والتزامُ التخصصِ والانشغالِ بما يعني الإنسانَ، هو طريقُ الفلاحِ الدنيويِّ والأخرويِّ

ومن دلائل كمالِ العقل اشتغالَ المرءِ بما يعنيه، وأنَّ في ذلكَ نجاةً للنفسِ وحمايةً للدينِ وصوناً للعِرضِ، وهذه القاعدةُ النبوية العظيمة لا تقتصرُ على اللسانِ فحسب، بل تشملُ كلَّ تصرفٍ يصدرُ عن الإنسان، فالمؤمنُ العاقلُ لا ينظرُ إلّا فيما ينفعُ، ولا يسمعُ إلّا ما يذكّرُه بالله، ولا يتحركُ إلّا في طاعةٍ أو خيرٍ.

قال تعالى: (مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ) [ق:18].

هذه الآيةُ أيها الأحبّةُ تقطعُ العذرَ، فكلُّ كلمةٍ تُقالُ تُكتب، سواءٌ كانت في مجلسٍ أو على منبرٍ، في صحيفةٍ أو على وسيلةٍ رقميةٍ، فاحذر أن تكتبَ ما تُحاسَبُ عليه، يومَ تجدُ كلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ في كتابٍ منشورٍ، كما قال تعالى: (وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا) [الكهف:49].

أيها الكرام: مما يُعينُ على هذا الأدبِ العظيمِ أن يُدركَ العبدُ أنَّ الكلمةَ مسؤوليةٌ، وأنَّ النطقَ أمانةٌ، فلا يُطلِقُ لسانَه في أعراضِ الناسِ أو في تفسيرِ ما يجهلُ، ولا يُدلي برأيٍ في مسائلَ شرعيةٍ لا علمَ لهُ بها، فدينُ اللهِ ليس مجالًا للتجاربِ أو الظنونِ أو الرغباتِ الشخصيةِ.

وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين: «إنَّ العبدَ ليتكلَّمُ بالكلمةِ من سخطِ الله، لا يُلقي لها بالًا، يهوِي بها في النارِ سبعينَ خريفًا».

أيها الأحبة: إنّ العقلَ الكاملَ هو الذي يزنُ القولَ قبلَ أن ينطق، والفعلَ قبلَ أن يقدمَ عليه، وينظرُ إلى العواقبِ بنورِ الإيمانِ لا بعجلةِ الهوى. فكم من كلامٍ أشعلَ نارَ فتنةٍ بينَ الناسِ، وكم من منشورٍ أو خبرٍ كاذبٍ كان سببًا لظلمٍ أو عداوةٍ أو دمٍ يُسفَك. فإن كانَ للباطلِ أهلٌ يكتبونَ بجهلٍ وضلالٍ، فليكن لأهلِ الإيمانِ عزمٌ على قولِ الحقِّ، ونُصحِ الأمةِ وإطفاءِ نارِ الكذبِ والافتراءِ.

أيها المؤمنون: اشتغالُ المرءِ بما يعنيه لا يعني اعتزالَ الحياةِ، بل يعني أن يُوجّهَ طاقتهُ فيما يرضي اللهَ وينفعُ خلقهُ. فالعاملُ في مهنتهِ بصدقٍ يشتغلُ بما يعنيه، والأمُّ في بيتِها تربّي أبناءَها في طاعةِ اللهِ تشتغلُ بما يعنيها، والعالمُ الذي يُعلّمُ الناسَ الخيرَ يشتغلُ بما يعنيه. ومن هنا –أيها الكرام– ينتقلُ فكرُنا ووجدانُنا إلى إخوانِنا في غزة الأبية، أرضِ الصبرِ والثباتِ، الذين تركوا كلَّ ما لا يعنيهم واشتغلوا بما يعنيهم حقًّا: بالدفاعِ عن دينهم ووطنِهم، وبالصبرِ على البلاءِ، وبالثباتِ على الحقِّ رغمَ الجراحِ والجوعِ والفقدِ. فهؤلاءِ المؤمنونَ لم يُضَيِّعوا وقتَهم في اللغوِ ولا في الشكوى، بل جعلوا نُطقَهم دعاءً، وصمتَهم صبرًا، وجِراحَهم شهادةً.

وفي هذه الأيام –أيها الأحبّة– يعيشُ أهلُ غزةَ ما يسمّى "وقفًا لإطلاق النار"، لكنه وقفٌ هشّ، يخرقهُ العدوُّ الصهيونيُّ كلّ يومٍ بذريعةٍ واهيةٍ، يزعمُ أن الفلسطينين يماطلون في ايجاد جثثِ الرهائنَ، وهو الذي قتلهم بيديهِ ودفنَهم تحتَ أطنانِ الركام! أيُعقَل أن يطالبَ القاتلُ بالجثثِ وهو الذي أفنى الأرواحَ ودمّرَ البيوتَ على ساكنيها؟!

إنها قسوةٌ لا توصفُ، وظلمٌ لا يُتصوّر، يُبرّرَ جرائمَه، وهو يعلمُ أنَّ أدواتَ فلسطينَ البسيطةَ لا تُسعفُهم في انتشالِ الأجسادِ من تحتِ الأنقاضِ، ومع ذلكَ يتذرّعُ ببطءِ إخراجها ليستأنفَ عدوانَه. وهذا واللهِ من أعظمِ مظاهرِ البغيِ الذي قال فيهِ ربُّنا: (وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) [إبراهيم:42].

أيها المؤمنون كونوا واعين بمسؤوليتكم تجاه قضايا الأمة، لا بالصراخ والعاطفة فحسب، بل بالعمل الصالح والدعاء الصادق، و بالنصرة بالقلب واللسان والمال والمواقف. كونوا مع المظلومين لا متفرجين، فإن الله سائلكم عن مواقفكم يوم الحساب.

اللهم انصر الحق على الباطل، واحمِ أهل غزة وثبّت أقدامهم واشفِ جرحاهم، وكن لهم ناصرًا ومعينًا، وعليك بالصهاينة المعتدين، واجعل بأسهم بينهم، ورد كيدهم في نحورهم.

اللهم ارحم أهلنا في السودان، وانتقم لمن سفك دماءهم ظلمًا، وامنح ذويهم الصبر والثبات، واجعل دماءهم لعنة على قاتليهم ونورًا يضيء طريق الأحرار.

Ocúpate de lo que Realmente Importa

Queridos hermanos,

nos invita a reflexionar sobre una enseñanza profunda y necesaria. La sabiduría se refleja en la capacidad de enfocar nuestra atención, tiempo y esfuerzos en aquello que nos edifica y fortalece, tanto en lo espiritual como en lo social. Vivimos tiempos en que muchos se dispersan en debates inútiles o en opiniones sin fundamento, especialmente en temas delicados como la religión, donde personas sin el conocimiento adecuado se atreven a interpretar el Corán y la ley divina, causando confusión y alejando a otros del camino correcto.

El Islam nos enseña que debemos respetar los límites de nuestro saber y actuar con prudencia, dedicándonos a aprender y enseñar solo aquello que nos beneficia y nos acerca a Dios. Así como en la medicina o en el derecho solo los especialistas tienen autoridad, en asuntos de fe debemos ser cautelosos y humildes. Es un acto de sabiduría y respeto proteger el conocimiento sagrado y evitar participar en discursos que solo propagan la división y el error. Esta actitud responsable no solo es una muestra de inteligencia, sino también un medio para preservar nuestra comunidad y fortalecer nuestro compromiso con Dios y los demás. Por eso, debemos cuestionar nuestras palabras y acciones, asegurarnos de que contribuyen al bien común y nos alejan del conflicto vano. En relación con esto, nuestros hermanos en Gaza son un ejemplo vivo de esta sabiduría aplicada. Pese a las enormes dificultades, continúan ocupándose de lo que realmente importa: defender su tierra y su dignidad con paciencia y valentía.

Aun en medio de un precario cese al fuego constantemente violado, enfrentan la injusticia extrema donde el agresor exige cuerpos de rehenes que él mismo ha causado, sepultándolos bajo los escombros. Este sufrimiento nos llama a la conciencia y a la acción sincera, reforzando nuestra responsabilidad moral de estar con ellos en oración y apoyo concreto.

Que nuestra palabra y obra siempre reflejen esta sabiduría y compromiso verdadero.

Oh Allah, apoya la verdad y concede la victoria al pueblo de Gaza, protege y sana a sus heridos, castiga a los agresores. Ten misericordia de nuestros hermanos en Sudán, castiga a quienes los mataron injustamente y da paciencia y fuerza a sus familias."